خصوصية العرض في مسرح الطفل اللغة أنموذجا

د.باسم عبد الأمير الاعسم
جامعة القادسية / كلية الآداب

المقدمة :

ينفرد الطفل بسمات جوهرية ، تجعله على قدر جلي من الخصوصية على صعيد لغة النص والتمثيل والاخراج ، والتلقي ، فلغة النص لها معاييرها الفكرية والاخلاقية والتربوية ، وللتمثيل اخراج مواصفاتهما المحدودة ، وكذا حال التلقي في هذا في هذا النمطط من المسرح فهو الاخر محكوم باشتراطات العرض وطبيعة المتلقين من الاطفال على مستوى الوعي والذائقة والفئة العمرية .

وعلى وفق هذا المنظور نقول : ينبغي ان نتامل طويلا ، صورة مسوح الطفل وطبيعته قبيل الشروع في الكتابة له ، اذ ليس كل شئ يمكن ان يقدم للطفل ، كما لا يصح ان يكون العرض المسرحي متخما بالافكار الذهنية المعقدة والغامضة ، او الحبكات الدرامية المتعددة ، والموضوعات التي تفتقر إلى التجانس المنطقي ، بما يرهق القنوات الحسية للطفل نفسه ، بمزيد من التفصيلات الفائضة ، ولذلك ، ينبغي ان تنتقي المفردات ، والحوارات المؤسسة لبنية النص المسرحي والصور المشيدة لمنظومة العرض المسرحي الذي ينبغي ان يكون جذابا ومبهرا معا .

من هنا يكتسب مسرح الطفل اهميته وخصوصيته ، وكما يقول (مارك توين) : (اعتقد ان مسرح الاطفال من اعظم الاختراعات في القرن العشرين ، وان قيمته التعليمية الكبيرة التي لا تبدو واضحة او مفهومه في الوقت الحاضر سوف تنجلي قريبا)[١] .

فضلا عن ذلك ، ان مسرح الطفل يقترن مباشرة بعض المفاهيم الانسانية والتعليمية والتربوية التي لها الاثر البير في تنشئه الاجيال على وفق اسس واصول تربوية سليمة ، مصاغة على وفق صور او هيئات فنية مبتكرة تدهش ذهن الطفل ، وفي مقدمة تلك المفاهيم : الامتاع ، لما له من اثر فاعل ومؤثر إلى نفسية الطفل ، إلى جانب كونه يسهل عملية التلقي ، اذ ما ادركنا ان التلقي يقترن بالنواحي النفسية بالنسبة للممثل ، والمتلقي على حد سواء ، ولذلك ، كما توافرت الافكار والمعالجات الفنية على قدر من الامتاع والبهجة ، فانها ستكون سهلة الهضم ، وعلى حد راي (وينفرد يد وارد) : (ان اهم اسباب حاجتنا إلى مسرح للاطفال تلك البهجة المتصلة التي يملا بها نفوس الاولاد والبنات ، ويكفينا – نحن – الكبار – لكي ندرك اهميته بالنسبة للصغار ، ان نلقي نظرة على ايام طفولتنا لنذكر مقدار السعادة التي كان مسرح الاطفال – لو وجد – يضيفها على حياتنا)[٢] .

وما دمنا بصدد الحديث على علاقة مسرح الطفل بالناحية النفسية نقول : ان اهمية مسرح الطفل تتمثل في (اشباع الدوافع الفردية ، واحلال السلوك الاجتماعي السووي محل السلوك غير الاجتماعي ، والمساعدة على تصريف طاقة الفرد الزائدة ، وتوجيهها وحسن استثمارها ، وتحقيق التوازن النفسي للاطفال)[٣] .

إلى جانب ما سلف ذكره انفا ، نقول : ان مسرح الطفل عبر لغته الخاصة وما يقدمه من افكار وصور جذابة ، يعمل على تصريف المكبوتات التي يعاني منها الاطفال (التلقين) .

وليس من قبيل المصادفة ، ان يحظى مسرح الطفل في جميع الامم السائرة في ركب الحضارة والتقدم بهذه المكانة اللائقة ، لما ينطوي عليه دور فاعل في تربية وتوجيه النشيء على وفق اسمى المبادئ والقيم الانسانية الخيرة ، من خلال المسرح الذي يعد من اخطر وسائل الاتصال والتغيير الاجتماعي (ويلعب المسرح ، بخصوصية المتفردة ، دورا متميزا عن بقية الفعاليات الفنية الأخرى ، في مخاطبة عقول وحواس الناشئين مما يجعله اشد تاثيرا واكبر خطرا ، وفي هذا المضمار ، فهو محكم كونه (فنا اجتماعيا) يستدعي المشاركة الفعالة لاكثر من عنصر او اختصاص)[٤] .

ان مسرح الطفل الذي لا يختلف عن المسرح المدرسي او المسرح بشكل عام بوصفه مؤسسة تربوية وتعليمية ذات اهداف اخلاقية ، واجتماعية وفكرية وجمالية ، تترجمها لغة النص والتكوينات الفنية (الجامدة والمتحركة) ذات الاشعاعات الجمالية الاسرة ، التي تقترحها مخيلة المخرج .

الإطار المنهجي

(خصوصية العرض في مسرح الطفل (اللغة أنموذجا))

أهمية البحث والحاجة إليه :

تأتي أهمية البحث الموسوم (خصوصية العرض في مسرح الطفل ((اللغة أنموذجا)) بوصفه يسلط الضوء على الخصوصية المتفردة التي يتمتع بها هذا الضرب من الخطابات المسرحية على صعيدي النص والعرض معا ، فللنص سماته الخاصة ومعاييره الفكرية والفنية والتربوية ، وللعرض علاماته النوعية المتغايرة على صعد التمثيل والاخراج

والتلقي كافة ، فلكل منهما مستويات متغايرة من البث والتأثير ، فالتمثيل ينبغي ان يكون حيويا يشع بالصدق الفني والجمال الذي مبعثه التقمص الوجداني العميق ، والاخراج – هو الاخر – يفترض ان تتوافر فيه كل مستلزمات الصور المسرحية المؤثرة ، ويبقى التلقي من ابرز مرتكزات العرض المسرحي ، لاسيما عندما يكون المتلقي طفلا ، اذ لهذا النمط من الاستقبال أهمية استثنائية تتوافق ودور الباحث (الممثل) في تنمية الإحساس الناقد لهذا المتلقي الناقد الأول وتحقيق اكبر قدر من متع الاكتشاف عبر توثيق تحري الاتصال مع مخيلة المستقبل (المرسل إليه) بوصفه متلقيا فعليا حاضرا ضمن راهنية العرض .

وعلى وفق ما سلف ، تاتي الحاجة الماسة لهذا النوع من المسرح الذي اخص نهاياته : توجيه وعي للطفل والارتقاء بذائقته النقدية والجمالية

هدف البحث : يهدف البحث إلى :

التعرف على خصوصية العرض ومواطن الإشعاع الجمالي في مسرح الطفل وفي مقدمتها : اللغة بوصفها مرتكزا أساسيا في احتضان المحمول الفكري والفلسفي وبثه عبر الحوار الدرامي – محكم الصنع – ومن ثم الكشف عن خصائص اللغة الموجهة للطفل في مسرح الطفل وطبيعة المعايير التي تستند إليها بحيث تعمق المستويات الدلالية والجمالية في الان نفسه ، وهذا بحد ذاته هدفا محوريا لا يصح الاستغناء عنه ، إذا ما عرفنا ان المتلقين الأطفال _ خاصة _ يستجيبون طواعية للملفوظ اللساني (اللغة) بوصفه أسرع الخطابات ضمن عملية الاستقبال .

منهج البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي لتوافقه مع التاسيس الذي تشيده الطروحات النظرية المتعلقة بمسرح الطفل .

لغة التخاطب في مسرح الطفل

بداهة ، يمكننا القول : ان لغة التخاطب في المسرح تتنوع بتنوع الانساق اللسانية والبصرية والحركية ، وان استجابة المتلقي في المسرح تتارجح بين مستويين ، اولهما : لغة النص ، وثانيهما : المفردات البصرية ومدى قدرتها على البث الاشعاعي الجمالي المؤثر ، لكن تبقى النص هي الراجحة ، لاسيما في مسرح الطفل ، اذ طالما ينفعل ويصفق الاطفال ، اذا ما سمعوا كلمات مشحونة بالعاطفة – بخاصة – عندما تعالج على وفق رؤية اخراجية مقدمة تستنطق افكار ورؤى النص يوصفه خطابا ادبيا متخيلا .

فضلا عن ذلك ، ان الاطفال يتفاعلون مع اللغة ، لانها اسرع الخطابات في عملية الاستقبال ، لاسيما اذا ما كانت لغة فصيحة وسطحية واضحة ومترة بالقيم والمفاهيم التربوية والجمالية ، ويكون اصغاء الاطفال (المتلقين) على اشده ، عندما يتوافر العرض المسرحي على نص ينطوي على قصة مؤثرة تتوالى صورها عبر لغة منسابة طيعة ، الامر الذي يدعم مصداقية زعمنا : من ان اللغة المسرحية ، تمثل المرتكز النظري الاساس في المقاربة الاخراجية ، ولا يصح الاستغناء عنها ، بوصفها ضرورة فكرية وجمالية ووسيلة من اهم وسائل التعبير الفكري والعاطفي لدى الانسان ، لكن شريطة ان تتوافر تلك اللغة على سلامتها الفكرية والفنية والتربوية والبلاغية . وعليه ، فان انكباب المؤلف على دراسة مكونات النص المسرحي له من الفضائل ما يجعل الكاتب المسرحي على قدر من الحصانة العرفية والثقافية التي تقيه الانزلاق في متاهات لا تحمد عقابها .

ان النص الدرامي لا يقف عند حدود الفكر المنتقاة او الموضوع او الشخصيات ، بل ان الاهم من ذلك ، هو التعبير عن الفكرة والموضوع بوساطة اللغة من خلال (الكيفية الاسلوبية التي تقترحها مخيلة المؤلف وتترجمها ذهنية المخرج ، في حين تغيب عن بال بعض الكتاب الذين يزالون الكتابة لمسرح الطفل على وجه الخصوص ، الكثير من التقنيات المتعلقة بميكانزم اللغة ، فتكون نصوصهم بلا سياقات درامية ناجحة ومؤثرة)[٥] .

ان النص المسرحي قبيل أن ينتقل إلى بيئة العرض ، يمثل فضاءا ادبيا دراميا متخيلا ، وعندما ينهمر ضمن انساق العرض البصرية والحركية ، فانه يتحول إلى فضاء فني اخر ، وعلى الكاتب ان يعي هذا التحول النوعي والاسلوب ، أي ن يضع في تصوراته هذا المشكل الفني وما يصاحبه من تغيرات جوهرية ما تقتضيه الخطة الاخراجية .

وربما يجد النص سبيله إلى خشبه المسرح دونما تغييرات اساسية ، لاسيما اذا ما كان النص رصينا ، كما هي روائع المسرح الدرامي ، الامر الذي يؤكد لنا ان قوة النص بلغته وعظمة العرض بنصه المتجانس شكله مع مضمونه ، وكلما كثفت افكار النص واختزلت شخصياته ، واجتزاءه حواراته ، اغتنت معانيه وتسامت شعريته وقيمته (الادبية والفنية) ، دون ان يعني ذلك ، طغيان المضامين الفلسفية او الفكرية على الاشكال الفنية ، لانها ستحول دون ارتقاء الفعالية الاخراجية التي تمثل في جوهرها بنية متحركة ومغيرة ، وان العرض المسرحي ، لاسيما في مسرح الطفل ، تبدو الحاجة فيه ماسة لابتكار الاشكال الفنية المجسدة للمضامين الفكريو والاجتماعية على وفق أساليب فنية حافلة بالمتعة والجمال والشد والترقب والاهاش ، بما يجعل الطفل (المتلقي) منجذبا بنحو تلقائي إلى صورة العرض المسرحي

دونما ريب ، ان مسرح الطفل من اشكاليات عدة على صعيد النص والعرض في الان نفسه ، وفي مقدمتها : تباين اعمار المتلقين من الاطفال الذي (يسبب اعظم المشاكل فيما يتعلق باختيار المسرحيات ، فيما يقبله الاطفال في سن الخامسة للاطفال في سن الحادية عشرة ، وما يهز هؤلاء الاطفال يثير فزع الاطفال في الخامسة ، واختيار مسرحية تناسب الفئتين يتطلب تديلا في نص المسرحية وفي اخراجها)[٦] .

ان المسرحيات التي تحوز على رضا جميع المتلقين على تباين فئاتهم العمرية واختلاف درجات وعيهم وذائقتهم ، هي ليست المسوحيات المتوافرة على لغة مسرحيات جزلة ، مفهومة ، واضحة ، غير معقدة ، او مبهمة ، وليست بسيطة حد السذاجة والابتذال ، بل لغة مرنة متدفقة ، عذبة تحاكي مختلف المتلقين من فرط عذوبتها وجماليتها ، وايقاعها وجرسها الموسق الجميل .

ان المؤلف النابه يمقت الوضوح المفرط والمباشرة الصريحة المعلنة المفتقرة إلى التشفير المرمز حتى وان كن النص موجها للاطفال ، بل ان المواءمة بين كتفي (الوضوح والغموض) مهمة تقتيها العملية الابداعية (التأليفية والاخراجية) ، بحيث يكون بمقدور الاطفال فك شفرات النص والعرض بما يحقق الاستجابة العاطفية والوجدانية والجمالية دون الارتماء في فلك التسطيح المفضوح الذي يصادر حرية الطفل (المتلقي) في التحليل والتفسير والتاويل ، اذا ما عرفنا ان مهمة المسرح تنمية القدرات الذهنية والذوقية بما يجعلها قادرة على استيعاب مفاصل العرض واصدار الحكم ازاءه بالسلب او الايجاب ، وذلك ، نجد ان العرض المسرحي التجريبي يحث احساس المتلقي باتجاه التفكير الناقد الذي يحقق المتعة (متعة الاكتشاف) ، على اساس ان الاحساس هو ضرب من ضروب التفكير العقلي ، في حين العرض المسرحي الذي يغالي في الوضوح ، لا يقيم صلات مع عقل المتلقي ، بل ربما مع عاطفة فقط ، ولذلك ، تراه يلامس سطوح الاشياء ليس وعمقها ، اذا ما عرفنا : (ان العروض التي تمثل في ذاكرة المتلقي والنقد على حد سواء ، ، هي التي تحرك الذهن وتصدم افق التوقع بما تحمله من رموز ودلالات تحيط بسائر انساق العرض بما في ذلك لغة النص المسرحي)[٧] .

وتعمل الفعالية الاخراجية على تفعيل العناصر الدراماتيكية المؤسسة لبنية النص الداخلية والتحليق بما يتوافق والقيمة الفلسفية والدرامية للنص نفسه ، وهنا تسمو المقاربة الاخراجية على النص بوصفه ملحقا بها على المستوى التطبيقي ، اذ لا قيمة للنص دون الاخراج ، اذا ما ادركنا : ان النصب ادب متخيل والاخراج فن حاصل جمع الاثنين ، يتاسس العرض المسرحي ، اما في حال تعادل الكفتين : نص خامل واخراج هازل فستحدث الكارثة لا محال ، كما وقع فعلا في اثناء المهرجان التاسيسي الاول لمسرح الطفل ، اذ طالما رفضت بعض النصوص والعروض بسبب ركاكتها وهشاشتها على صعيد اللغة – خاصة – في حين تالقت بعض العروض الأخرى ، لانها توافرت على نصوص متينة ومعالجات ماهرة .

ان اللغة المسرحية المشفرة تجسد لنا مدى ثقافة وخزينه المعرفي وخبرته الطويلة في انتاج النص وصياغة الحوار الدرامي بشكل مسبوك رصين يحقق الامتناع ، ، لكننا (لا نريدهم ان يفكروا ويحللوا ويتفاعلوا ، نريدهم ان يواجهوا مشاكلهم وصعوبات الحياة وان يتسلحوا نفسيا وعقليا ككل مشكلاتهم الاتية والمستقبلية)[٨] .

ويبقى اقتضاب اللغة وتحريرها من كثافة السرد من الامور الاساسية التي ينبغي ان يراعيها المؤلف فان (عبارات الحوار من خصائص المسرحية التي يتمتع بها المتفرجون الصغار ، والكتاب المسرحيون الذين يفهمون الاطفال يتجنبون الاطالة المملة . وكثيرا ما يضطر المخرج إلى حذف عبارات الحوار الطويلة التي تجعل المسرحية جامدة وتنشر السام بين المتفرجين . والأطفال على حق حين يطالبون حوارا لانه حوار المألوف بين الناس)[٩].

قلنا : أن لغة التخاطب في مسرح الطفل ان تتباين حسب اختلاف المراحل العمرية للأطفال ، ولذا فان على كاتب النص المسرحي ان يراعي (مستوى القدرة للصغير ضمن الفئة العمرية التي ينتمي أليها ، عازما ومشخصا حصليته اللغوية التي أتاحتها له البيئة والمدرسية والبيت . هنا ياتي دور الخبير المسرحي مع الكاتب المربي مع عالم النفس لفحص الحوار المكتوب للنص المطلوب بكل يكشف للمتلقي الصغير جمال اللغة وخواصها دون زخارف وتعقيدات وزوائد ترهق المتلقي وتنفره وتبعده عن استيعاب اللغة وفهم مبناها ومعناها وموسيقاها)[١٠] .

إن العرض المسرحي المتوافر على كافة مستلزماته اللغوية والبشرية والتقنية ، سيحقق المزيد من الوظائف الترفيهية والتعليمية والجمالية ، فضلا عن الأهداف المعرفية والتذوقية ، اما الوظيفة الترفيهية فهي الأساس (لأنها هي التي تؤخذ اكثر بعين الاعتبار لدى الكتاب او المنتخبين عند إعداد النصوص او الأعمال المسرحية ، لان المسرح هو حفل كبير قبل كل شيء ، ولعبة درامية من شانها ان تدخل الغبطة والسرور وان تزيل كابوس الياس والقنوط على جمهور الأطفال)[١١] .

ولنا وطيد الأمل في آن تتبنى وزارة الثقافة ، ثقافة الطفل الأهمية كلها فتسارع ببناء مسرح خاص بالطفل ، فليس في تحقيق هذا المنجز الثقافي والوطني أدنى خسارة لانها (ستربح بالمقابل الإنسان المعاف

عقليا وروحيا ، ستربح مواطنا متحضرا ، ومسؤولا تجاه المجتمع وتجله الوطن)[١٢] .

الاستنتاجات

مما تقدم نستنتج الآتي :

١.إن المسرح لغة ولغة المسرح تتجلى عبر الحوار الدرامي الذي يعد من المعايير الجوهرية التي ينبغي على الكاتب مراعاتها ما دام يمثل الوسيلة المثلى في بلوغ الغاية الجليلة في التعبير عما يختلج داخل النفس الإنسانية (نفسية الطفل المتلقي) من مشاعر وأحاسيس وأفكار وتصورات .

٢.إن مسرح الطفل لا يقل عن أهمية المدرسة بوصفه مؤسسة تربوية ذات أهداف إنسانية متعددة ومتنوعة ، بل هو مدرسة صباحية او مسائية ، تبث الوعي والمعرفة وتنمي الفن والذائقة لدى المتلقين الأطفال .

٣.ثمة أزمة في النص المسرحي لمسرح الطفل ، لاسيما على مستوى اللغة المتعددة في التخاطب ، إذ كثيرا ما تكون اللغة مرمزة أو عصية على الفهم أي لغة متيبسة في حين ينبغي أن تكون لغة طيعة فصيحة وسطية مترعة بالمفاهيم التربوية والأفكار الخيرة .

٤.لا يمكن الاستغناء عن مسرح الطفل بوصفه ظاهرة ثقافية وحضارية تسهم في تنشئة واعداد الأجيال على وفق أسمى الطروحات الإنسانية النبيلة .

٥.إن المؤلف يتحمل العبء الأكبر في بناء اللغة المناسبة لوعي الأطفال وترسيخ الأفكار السامية على وفق أسلوب مبسط يميل إلى الوضوح ويناءى عن التعقيد والغموض .

التوصيات

١.ضرورة إنشاء مسرح خاص بالطفل .

٢.تاسيس مسرحية مركز من الاطفال تتخذ من المسرح المذكور في الفقرة (١) مقرا لها .

٣.اهمية اصدار مجلة تعني بمسرح الطفل .

٤.ابقاء مهرجان الطفل تقليدا سنويا دائما .

٥.منح جوائز مالية مجزية لتاليف النصوص المسرحية المتخصصة بمسرح الطفل .

٦.توسيع رقعة النشاطات اللاصفية ومنها عروض الاطفال في وزارة التربية .

٧.اعتماد مبدا (الربرتوار المسرحي) سنويا لاتاحة الفرص السائحة للاطفال بقصد مشاهدة العروض المسرحية .

المصادر

١.وينفر يد وارد . مسرح الأطفال ، ترجمة ، محمد شاهين الجوهري ، (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٦٦) ص ١٤٥.

٢.المصدر نفسه ، ص٤٥ .

٣.منقريس . رياض الإدارة المسرحية . (القاهرة : الجزء الثالث ١٩٧٠) ص٥٧١ .

٤.ثامر مهدي . في المسرح المدرسي . (بغداد : الموسوعة الصغيرة ، العدد ١٦٤ ، ١٩٨٥) ص٩ .

٥.باسم الاعسم . النص المسرحي وإشكالية التأليف ، جريدة الثورة (بغداد : الأحد ، تموز ، ٢٠٠٠) .

٦.وينفر يد وارد . المصدر السابق نفسه ، ص١٤٥ .

٧.باسم الاعسم . الوضوح والغموض والتوجيهات في مسرح الطفل المعاصر . (الأردن : المركز الوطني للثقافة والتعليم ، (ب–ت)) ص٤

٨.مارغو ملا نجليان . المضامين والتوجيهات في مسرح الطفل المعاصر (الأردن : المركز الوطني للثقافة والتعليم ، (ب–ت)) ص٤ .

٩.وينفر يد وارد . مسرح الطفل ، المصدر السابق نفسه ، ص١٦٣

١٠.د.يوسف عيدا بي . الندوة الفكرية لمسرح الطفل (دار الثقافة والإعلام ، السلسلة المسرحية ، ٢٠٠١) ص٤٤ .

١١.علي بلعربي . مسرح الطفل . (الجمهورية التونسية : وزارة الثقافة ، ١٩٩٣) ص١٨.

١٢.قاسم محمد . الندوة الفكرية لايام الشارقة (الشارقة : السلسلة المسرحية، ٢٠٠٠) ص٥٤ .